



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية مجلة فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية - فصلية - محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد: ١٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

محتويات العدد ١٧

رقم الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
١	د. احمد عبد الستار م.م. حقي اسماعيل فياض	علم المناسبة بين آيات القرآن
٣٧	د. احمد جلوب	القنوط في القرآن
٧٩	د. زياد علي دايع	من مصطلحات التنظيم الاجتماعي
١٣٧	د. ضياء محمد محمود	الوسائل التي استخدمها النبي في تعليم الصحابة
٢٢٢	د. عبد الرحمن احمد د. قصي سعيد احمد	موقف الشرع من التماثيل والنصب التاريخية
٢٧٧	د. اسماعيل ابا بكر د. مصطفى محمد امين	حق تاديب الزوج لزوجته
٣١٣	د. علي حسين جاسم	مصنفو الفقه الحنبلي
٣٧٢	د. احسان لطيف احمد	الكرامة في كتب العقيدة
٤٢١	د. عبد هادي فريح	الطبقية واثرها على المجتمع
٤٦٥	د. عبد العادي محمد عباس م.م. احمد طارق حمودي	الدروس المستخلصة من شخصية صلاح الدين الايوبي وسياسته
٤٩٨	د. محمد جاسم عبد الساطوري	ردود العيني النحوية على ابن مالك في كتابه عمدة القارى
٥٣٩	د. نافع سلمان جاسم	دلالة الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد في ديوان الشافعي
٥٩٤	د. محمد خالد رحال	الزمن في ما ومهما الشرطيتين
٦٢٢	م.م. عبد الرزاق علي حسين	الا التي للتمني بين سيبويه والنحاة
٦٤٦	د. عدنان اسم محمد	روية اسلوبية للاعتراض في الخطابا لقراني
٦٨٥	م.م. زيدون فاضل عبد	اصول بنية ضمائر الرفع دراسة لغوية
٧٣٤	د. احمد حميد كريم العزاوي	شاعرات عراقيات منسيات
٧٨٧	م.م. ايناس عبد الرحمن	مستوحى الشعراء في ظل الدولتين الزنكية والايوبية

علم المناسبة بين آيات القرآن وسوره

د. أحمد عبد الستار شلال

م.م. حفي اسماعيل فياض

القدمة

الحمد لله مستحق الحمد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رافع
لواءِ المجد ، وعلى آله وصحبه .

وبعد :

فإن المناسبة لآيات القرآن وسوره ، وارتباط مبانيها ، من وجوه إعجاز
القرآن الكريم ، وهو علم شريف ، تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل
فيما يقول ، - د كتبت لهذا العلم الظهور في أوائل القرن الرابع الهجري .
فالمناسبة تجعل من أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى
بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .
وقد نهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في عرضه للقضايا خالف به سائر
المناهج السابقة واللاحقة . فتارة يذكر طرفاً من الشيء ثم يتركه ، ثم يعود
إلى إتمامه بطريقة لا تسام النفوس هديه ، ولا تستنقل حديثه ، مراعيّاً في
تسلسل نصوصه أن يقارب بين أفرادها كعقد نظمت حباته ، ورتبت أبداع
ترتيب ، فكان بذلك معجزاً بنظمه بديعاً في اتساقه ، متناسباً في آياته وسوره
وأجزائه ، يشهد بحق وصدق ، ويدل أبلغ دلالة على مصدر القرآن ، وإنه
كلام الله .

وقد جاء البحث مشتملاً على مبحثين وخاتمة غير هذه المقدمة .

المبحث الأول : ترتيب آيات القرآن وسوره ، وقد اشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الآية لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : تعريف السورة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : علم المناسبة وقد اشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : فائدة علم المناسبة .

المطلب الثالث : أنواع المناسبات في القرآن الكريم .

المطلب الرابع : موقف العلماء من علم المناسبة .

المطلب الخامس : أشهر المصنفات في علم المناسبة .

ثم جاءت الخاتمة لتبرز أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث ، ولا أدعي العصمة في ذلك ، سائلاً المولى القدير التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

المبحث الأول

ترتيب آيات القرآن وسوره

تلقى رسول الله ﷺ القرآن طيلة ثلاث وعشرون سنة ، فكان ينزل عليه من القرآن في المرة الواحدة لسورة أو الآيات أو الآية الواحدة ، وكان يتلوه على الصحابة ، ويأمرهم بكتابته ، وتوفي رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن ، وإنما كان مفرقاً في الألواح والقطع المختلفة التي كتب عليها . وقد جمع القرآن في نسخة واحدة في صحف منظمة من تلك الألواح في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم نقلت عدة نسخ من تلك النسخة وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فكل ما هو موجود اليوم من مصاحف في الأرض إنما هو من تلك المصاحف المنقولة من الصحف . ولكن ما هو الأساس التي الذي قام عليه ترتيب الآيات في السور ، وترتيب السور في المصحف (١) .

إن نزول القرآن كان ملائماً للوقائع والأحوال التي مرت فيها الدعوة الإسلامية ، ومراعياً ما يتطلبه الزمن الذي نزل فيه . لذا يختلف ترتيب القرآن الكريم في النزول عن ترتيبه في المصحف اختلافاً كبيراً ، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين . فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة ، وأسلوب إقناع بعقيدة ، وطريقة تبشير وإنذار ،

(محاضرات في علوم القرآن : لغام قلدوري ٧٧ .

ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض ، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة ، وبناء حضارة ، ودستور للعالم كله ، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه ، أحكم ترتيبه من هذه الجهة ، ليكون هداية للمؤمنين (١) .

وقد يفصل بين هذه الآية وما بعدها من آيات السور نفسها فاصل زمني يطول أو يقصر حسب الحكمة التشريعية الإلهية ، فتظل السورة طيلة هذه المدة مفتوحة بانتظار بقية أو بعض آياتها . وخلال ذلك الفاصل الزمني قد تنزل آيات سورة أخرى ، حتى إذا اقتضت حكمة الله وحاجة الناس إلى تكملة السورة الأولى نزلت بقية أو بعض آياتها ، ويعرف ترتيب نزول الآيات من الروايات المنقولة والنصوص التاريخية والشواهد التي قارنت النزول (٢) .

وهذا التفريق في النزول يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم كلام الله العزيز الحكيم ، وليس كلام بشر على الإطلاق ، وإن العقل البشري مهما أوتي من القوة والحفظ والإحكام لا يستطيع أن يذكر موضع فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات ، فيضعها في مكانها ، بحيث تلتحم وتتواءم مع سابقتها ولحقاتها في اللفظ والمعنى والسياق ، ولا يتأتى ذلك لو لم يكن ترتيب السور توقيفياً كما هو الحال في ترتيب الآيات (٣) .

فترتيب الآيات - ات في سورها توقيفي ثابت بالوحي ، وبأمر رسول الله

ﷺ ، فقد كانت الآيات تنزل عليه ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها

(١) تناسق الدرر في تناسب السور : للسيوطي ٣ ١٤ .

(٢) موجز علوم القرآن : للدكتور داود العطار ٧٢ ١٧٣ .

(٣) ينظر : مناهل العرفان : للزرقاني ٣٢٣ ، ومباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي صالح :

من السور بتبليغ من جبريل عليه السلام ، وقد ترادفت النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفي^(١) . ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء منهم الزركشي حيث قال : (ف - ١ الآيات في كل سورة ، ووضع البسمة في أوائلها ، فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه . وقال مكّي : (ترتيب الآيات في السور ، ووضع البسمة) . في الأوائل هو من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت - لا بسمة . وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : (ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا)^(٢) .
وأما ترتيب السور في القرآن فالراجح أيضاً إنه توقيفي^(٣) .

(فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر - ١٢٥٠ ، والإتق - ان في علوم القرآن : للسيوطي ١٧٣ .

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٣٢٣ ، وينظر : والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي : ١٧٢ ، ومباحث علوم القرآن : لمناع القطان ٨٨ .

(ينظر : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٤ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي : ١٥٠ ، ومباحث في علوم القرآن : لمذكور صبحي صالح ٧٣ .

المطلب الأول

تعريف الآية لغة واصطلاحاً

آيات القرآن : جمع آية ، والآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات :

أولها : المعجزة . ومنه قوله تعالى : ﴿سَلِّ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾^(١) . أي معجزة واضحة .

ثانيها : العلامة . ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢) . أي علامة ملكة .

ثالثها : العبرة . ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(٣) . أي عبرة لمن يعتبر .

رابعها : الأمر العجيب . ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(٤) .

خامسها : الجماعة . ومنه قولهم : خرج القوم بآياتهم . أي بجماعتهم : والمعنى إنهم لم يدعوا وراءهم شيئاً .

(١) سورة البقرة : من الآ ٢١١ .

(٢) سورة البقرة : من الآ ٢٤٨ .

(٣) سورة البقرة : من الآ ٢٤٨ .

(٤) سورة المؤمنون : من الآ ٥٠ .

سادسها : البرهان والدليل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ ﴾^(١) . والمعنى إن من براهين وجود الله
واقتراره واتصافه بالكمال ، خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة
والألوان^(٢) .

أما تعريف الآية في الاصطلاح فقد خصت بأنها طائفة ذات مطلع
ومقطع مندرجة في سورة من القرآن . والمناسبة بين المعنى الاصطلاحي
والمعاني اللغوية السالفة واضحة ، ان الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار
انضمام غيرها إليها ، ثم هي علامة على صدق من جاء بها ، وفيها عبرة
وذكرى لمن أراد أن يتذكر ، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو
والإعجاز ، وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف ،
وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم ، وعلى قدرة الله
وعلمه وحكمته ؛ وعلى صدق رسوله ﷺ في رسالته^(٣) .
فالآية هي أصغر الوحدات التي يتألف منها النص القرآني^(٤) .

(١) سورة الروم : من الآ ٢٢ .

(٢) مناهل العرفان ٣١٦ ، وعلوم القرآن : لإبراهيم النعمة ١ ١٢ ، وعلوم القرآن الكريم
لعبد الرحيم البليبي ٨ ٦٩ .

(٣) مناهل الفرقان للزرقاني ٣١٦ ، وعلوم القرآن الكريم : لعبد الرحيم البليبي ٦٩ .

(٤) موجز علوم القرآن للدكتور داود العطار ١٧٢ .

المطلب الثاني

تعريف السورة لغة واصطلاحاً

قال أبو عبيد وغيره : إنها غير مهموزة ، مأخوذة من سور البناء ، وكل منزلة رقيقة فهي سورة . ومنها قول النابغة .

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقيل إنها مهموزة ، فيكون معناها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وأبقيت () .

قال القتيبي : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسارت : أي أفضلت ، من السور وهي ما بقي من الشراب في الإناء ، كأنها قطعة من القرآن () .

فتحديد المعنى الذي أخذت منه السورة بمعناها القرآني مختلف فيه العلماء ، والراجح من هذه الآراء أن تكون السورة مأخوذة من سور البناء ، أي القطعة منه ، فكما أن البناء يقوم سورة بعد سورة ، كذلك القرآن ، فالله سبحانه وتعالى نزله على رسوله ﷺ مفرقاً في ثلاثة وعشرين عاماً ، حتى اكتمل بناؤه () .

() تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٧ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ٥٢ .

() البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٣٣٢ ، وموجز علوم القرآن : للدكتور داود العطار :

١٧٢ .

() ينظر : مناهل العرفان : للزرقاني ٣٢٦ .

وأما السورة في الاصطلاح : فهي طائفة من القرآن مستقلة ، تشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات () .

المبحث الأول

علم المناسبة

المطلب الأول

المناسبة لغة واصطلاحاً

المناسبات في اللغة : جمع مناسبة على وزن مفاعلة ، وهي ارتباط بين شيئين أو أكثر ، قال ابن فارس : (النون ، والسين ، والباء) كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النسب ، سمي لاتصاله ، وللاتصال به ، تقول : نسبت أنسب ، وهو نسيب فلان ، والنسيب : الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض () .

وقال ابن منظور : (وتقول : ليس بينهما مناسبة ، أي : مشاكله) () .

(البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٣٣ ، وموجز علوم القرآن : للدكتور داود العطار :

١٧٢ ، وعلوم القرآن الكريم : لعبد الرحيم البليبي ٦٩ .

(معجم مقاييس اللغة ، ٢٣ ٤٢٤ ، وينظر البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦١ ،

وقواعد التفسير : لخالد عثمان السبت ٧٤٣ .

(لسان العرب ٤ ١١٩ .

فالمناسبة في اللغة : هي المقاربة ، وفلان يناسب فلان ، أي يقرب منه ويشاكله . ومنه المناسبة في العلة في باب القياس ، وهي الوصف القارب للحكم (.

وأما المناسبة في الاصطلاح : فهي وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة والسور (.

يقول صاحب نظم الدرر : علم المناسبة علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن (.

المطلب الثاني

فائدة علم المناسبة

إن القرآن الكريم يجمع بين الفنون المختلفة في سورة واحدة ، في تنسيق بديع يصل بها إلى الذروة في الإعجاز البلاغي ، والإحكام البياني

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦١ ، ومباحث في علوم القرآن : لمناع القطان ٨٨ .

(مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ٨٨ .

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦١ ، ونظم الدرر : للبقاعي ٦ ، والإتقان في علوم

القرآن : للسيوطي ' ١٠٨ ، وآل - مات : لأبي البقاء الحسيني ٨٦٦ ، وقواعد التفسير :

لخالد بن عثمان ' ٧٤٣ .

وروعة الأسلوب^(١) ، يقول الله تعالى : ﴿الرِّكَابُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْهُ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٢) .

لذا فإن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم ومن محاسن الكلام إن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطع^(٣) .

يقول الشيخ أبو بكر النيسابوري - رحمه الله - : (إن الإعجاز البلاغي لم يرجع لا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره ، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيباً وتماسكاً)^(٤) .

ويقول الزركشي : (وفائدة علم المناسبة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتأتم الأجزاء)^(٥) .

فعلم المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول^(٦) .

جاء عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قوله : (المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله

(١) ينظر : مباحث في علوم القرآن : لمناع القطان ٨٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٢ .

(٤) الفصل والوصل : للدكتور بسيوي عرفة ٣٩ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ٦٢ ، ومباحث في علوم القرآن : لمناع القطان ٨٨ .

(٦) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦١ .

بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم شترط فيه ارتباط أحدها بالآخر (.
ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً ، ولكنها تعتمد
على اجتهاد المفسر ومبلغ تدوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه
الفريد (.

المطلب الثالث

أنواع المناسبات في القرآن الكريم

أولاً: المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة :

إن المتأمل في ألفاظ القرآن الكريم تأخذه روعة في سهولة نطقها وقرب
مأخذها معنى ، ومجيئها على قدر المعنى الذي صيغت له .
والتناسب بين أجزاء الآية يكون من حيث اللفظ أو المعنى .

فأما من حيث اللفظ : ونعني به مناسبة اللفظ لألفاظ الآية . ومثاله

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ

الْهَالِكِينَ ﴾ (.

فالألفاظ في هذه الآية يلاءم بعضها بعضاً ، حيث أتى بها متناسبة

في الغرابة .

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٣ .

(مباحث في علوم القرآن : لمناع القطان ٨٨ .

(سورة يوسف : الآية ٨٥ .

فـ (التاء) أغرب ألفظ القسم ، وذلك لأنها أقل استعمالاً من الواو والياء .

وأى بـ (تفتاً) ، وفتى أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات كان .

وأى بلفظ (حرصاً) وهو أغرب ألفاظ الهلاك . فاقترضى حسن الوضع في النظم ، أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها توخياً في حسن الجوار ، ورعاية في ائتلاف المعنى باللفاظ ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع ، وتتناسب في النظم ، وجاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حال يعقوب عليه السلام التي وصل إليها ، وإشفاق أبنائه على حاله ، وخشيتهم عليه من الهلاك () .

وأما من حيث المعنى :

فمثاله قوله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ﴾ () . فإنه

تعالى لما نهى عن الركوب إلى الظالمين وهو الميل والاعتماد عليهم ، وكان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم () .

ومن المناسبات بين أجزاء الآية مراعاة ما يقتضيه التعبير والسياق ، مع مراعاة الانسجام في فواصل الآيات ، لما لذلك من تأثير كبير على السمع ،

(ينظر : التعبير القرآني : للدكتور فاضل السامرائي . ٦١ .

(سورة هود : من الآ ١١٣ .

(ينظر : التعبير القرآني : للدكتور فاضل السامرائي . ٦١ .

ووقع مؤثر في النفس . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) ، ولا شك أن خاتمة كل من الآيتين تتسجم مع الآيات فيهما ، ولكن السياق أيضاً يقتضي الفاصلة التي ختمت فيها كل آية من الآيتين ، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته ، فختم الآية بصفة الإنسان . والآية الثانية في سورة النحل في سياق صفات الله تعالى فذكر صفاتاً^(٣) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) . ففي الآية إن أجزاء السارق والسارقة أيديهما والتنكيل بهما جزاء سرقتهم وخيانتهم .

قال الأصمعي : كنت أقرأ سورة المائدة ومعني إعرابي ، فقرأت هذه الآية : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥) ، فقلت : (والله غفور رحيم) سهواً ، فقال الإعرابي : كلام من

(١) سورة إبراهيم : من الآ ٣٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٨ .

(٣) ينظر : التعبير القرآني : للدكتور فاضل السامرائي ١٩٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

(٥) سورة المائدة : من الآية ٣٨ .

هذا؟ فقلت : كلام الله ، - ال : أعد فأعدت (والله غفور رحيم) ثم تنبهت فقلت : (والله عزيز حكيم)^(١) . فقال : الآن أصبت . فقلت : كيف عرفت ؟ قال : يا هذا ، عزّ فحكّم ، فأمر بالقطع ، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع^(٢) .
ومن بديع اختيار الفاصلة ، قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) ، فقد ختم الآية الأولى بقوله : (المبتلون) وختم الثانية بقوله : (الكافرون) ، وذلك لأن كل كلمة مناسبة للسياق الذي وردت فيه ، فالأولى وردت في سياق الحق ، ونقيض الحق الباطل . والثانية في سياق الإيمان ، ونقيض الإيمان الكفر . فما أجله من كلام ، وما أعظمه من تعبير^(٥) .

ثانياً : المناسبة بين الآيات :

أما ارتباط الآية بالآية فينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يظهر الارتباط بين الآية الثانية والآية الأولى ، بأن كانت الآية الثانية سبباً للأولى أو مفسره لها أو مؤكدة أو بدلاً أو جاءت معترضة ، إلى غير ذلك من وسائل الارتباط . وهذا النوع لا يتطلب كثير جهد في استخراج المناسبة ، ما دام الطالب لمعرفة واستخراجها

(١) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١ / ٢٣٦ .

(٣) سورة غافر : من الآ ٧٨ .

(٤) سورة غافر : من الآ ٨٥ .

(٥) ينظر : التعبير القرآني : للدكتور فاضل السامرائي ٢٠١ .

مستوفياً للشروط التي يجب توافرها في المفسر ، لأن الترابط واضح ومن أمثلة هذا القسم :

١ . أن تكون الآية الثانية سبباً للأولى : وذلك مثل قوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

ووجه النظم إنه تعالى لما قال في الآية الأولى : ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ قال في الآية الثانية : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ ، أي : ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ .

(سورة آل عمران : الآيات ٣ - ٢٤ .

(مفاتيح الغيب للرازي : ٢٣٤ .

(سورة آل عمران : من الآية ٢٤ .

٢. أن تكون الآية الثانية تفسيراً للأولى . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَقَالَ

الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٠﴾ .

حيث ترك العطف في النداء الثاني وهو : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

مَتَاعٌ ﴿٤٠﴾ لأنه تفسير - أ أجمل في النداء قبله من الهداية إلى سبيل

الرشاد ، فإنها التحذير من الإخلاق إلى الدنيا ، والارغب في إيثار
الآخرة على الأولى ، وقد أدى ذلك فيه على أتم وجه وأحسنا ﴿٤٠﴾ .

٣. أن تكون الآية الثانية تأكيداً للأولى مثل قوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ

بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ . فقوله : ﴿وَيَا قَوْمِ مَا

لِي أَدْعُوكُمْ ﴿٤١﴾ تأكيد - أ قبله ، فقد كرر نداءهم إيقاظاً لهم من سنة

(سورة غافر : الآيات ٨ - ٣٩ .

(سورة غافر : من الآية ٣٨

(روح المعاني : للألوسي ٤ ، ٧١ .

(سورة غافر : الآيات ١ - ٤٢ .

الغفلة ، واهتماماً بالنادى له ، ومبالغة في توبيخهم على ما تقابلون به دعوا . (

٤ . أن تكون الآية الثانية بدلاً من الأولى . مثل قوله تعالى : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، فإن لفظ (الصراط) الثانية بدلاً من الأولى ، والبدل موضح وه بين للمبدل منا (.

٥ . أن تكون الآية معترضة : فالإضافة إلى أن الاعتراض يقع مؤكداً لمفهوم الكلام الذي وقع فيه ، ومقرراً له في نفوس السامعين ، فإنه يأتي لأغراض بلاغية منها : إنه يأتي لتعظيم المقسم به وتفخيمه ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (، ففي هذا الكلام اعتراضات أحدهما قوه تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، لأنه اعتراض بين القسم الذي هو : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، وبين جوابه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ . والثاني قوله : « لو تعلمون » ، وهو اعتراض بين الموصوف الذي هو : (قسم) وبين صفته ، الذي هو : (عظيم) ، وفائدة الاعتراض هو تعظيم شأن المقسم

(ينظر : روح المعاني : للآلوسي ٤ ' ٧١ .

' سورة الفاتحة : الآيات ٧ .

' ينظر : الإيضاح والتبيين : للدكتور سمير عبد العزيز ١١١ .

(سورة الواقعة : الآيات ٨ ٩ ٨٠ .

به في نفس القارئ أو السامع ، أي : - ه من عظم الشأن وفخامة الأمر ، بحيث لو علم ذلك لوفى حقه من التعظيم (١) .

القسم الثاني : وهو ما لا يظهر الارتباط فيه بين الآيتين : حيث جرت عادة القرآن الكريم بأنه إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً ، ليكون باعثاً على العمل ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي ، فتبدوا في الظاهر كل آية مستقلة عن الأخرى ، وإنما خلاف النوع المبدوء به وينقسم هذا القسم إلى قسمين :

الأول : أن تكون الآية الثانية معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف ، فتشاركها في الحكم ، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة ، إذ لا بد منها عند العطف ، كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَبْضُ وَيَسْطُ﴾ (٢) ، فالجهة الجامعة هي : التضاد وأمثلة - ذا القسم تظهر في (الطباق) والمقابل (٣) (٤) .

الثاني : ألا تكون الآية الثانية معطوفة على الأولى : فإذا لم يكن هناك عطف بين الجملتين فلا بد أن تكون هناك دعامة يعتمد عليها في الربط ، وتؤن بارتباط الكلام ، وهي قرينة معنوية يدركها

(١) ينظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : لابن القيم ٩٥ .

(٢) سورة البقرة : من الآ ٢٤٥ .

(٣) الطباق : هو الجمع بين الشيء وضده ، ينظر : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٥١٢ .

(٤) المقابلة : إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة ، ينظر البرهان

في علوم القرآن : للزركشي ٥١٥ .

(٥) ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥ ٥١٦ ، والإتقان في علوم القرآن :

للسيوطي ٠٨ ١٠٩ .

المستنبط ببصيرته النافذة ، كالحاق النظير بالنظير ، كما في قوله تعالى :
 ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ، ثم بين أوصافهم وختم ذلك بقوله : ﴿أُولَئِكَ
 هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٢) ، وذكر جزاءهم فقال : ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ﴾^(٣) .

والنظير هنا إن الغنائم لما انتزعت من أيدي المجاهدين في أول الأمر
 وجعلت لله والرسول ﷺ ، تألم بعضهم لحرمانه منها ، فألحق الله ذلك
 بكراهيتهم لخروج إلى الجهاد في أول الأمر ، وتبينهم بعد ذلك أن في الخروج
 الغنيمة والنصر وعز الإسلام وهلاك الأعداء^(٤) .

ومن الروابط : الاستطراد^(٥) .

ومثاله قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لُبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ
 وَرِيشًا وَكِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٦) . قال الزمخشري : هذه الآية واردة على

(١) سورة الأنفال : الآية ١ .

(٢) سورة الأنفال : من الآ ٤ .

(٣) سورة الأنفال : من الآ ٤ .

(٤) ينظر : والإيقان في علوم القرآن : للسيوطي ' ١٠٩ .

(٥) الاستطراد : هو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فبينهما يمر فيه يأخذ في معنى آخر ، ينظر الصناعتين :

لأبي الهلال عسكري ٣١٦ ، والإيقان في علوم القرآن : للسيوطي ' ١٠٩ .

(٦) سورة الأعراف : من الآ ٢٦ .

سبيل الاستطراد عقب ذكر بدء السموات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى (١) .

ومن الروابط : حسن التخلص (٢)

كأن يصل إلى غرضه أثناء الحديث عن شيء إلى شيء آخر ، كالحديث عن موسى عليه السلام في سورة الأعراف في أكثر من أربعين آية ، ثم يصل إلى الحديث عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك يود لإتمام الحديث عن موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ

(١) الكشاف ٣٦٠ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ١٠٩ .

(٢) حسن التخلص : وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى ؛ يث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه التأييد لشدة الالتئام بينهما ينظر : والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ١٠٩ .

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٧﴾ . وبعد ذلك يعود فيقول (١) : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٠٨) .

ثالثاً : التناسب بين سور القرآن :

وكما أن التناسب والترابط حاصل بين آيات القرآن في السورة الواحدة فهو أيضاً حاصل بين سور القرآن الكريم . والقارئ لسور القرآن يجد بينها وبين سابقتها مناسبة ورابطة تظهر سر عظيم في الإعجاز من خلال ترتيب السور القرآنية والتناسب بين سور القرآن على أقسام :

الأول : مناسبة فواتح السور لخواتمها :

ومن ذلك ما في سورة القصص . فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام ، والوعد برده إلى أمه ودعائه ألا يكون ظهيراً للمجرمين ، ثم ختم الله السورة بتسليية رسولنا صلوات الله عليه وآله ، بخروجه من مكة ووعدته بالرجوع إليها ، ﴿إِن

(سورة الأعراف : الآيات ٥٦ - ١٥٧ .

(ينظر : والإنتان في علوم القرآن : للسيوطي ' ٠٩ - ١١٠ .

(سورة الأعراف : لآي ١٥٩ .

الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴿١﴾ ، وقد عاد إليها فاتحاً
منتصر. ﴿٢﴾ ، وقيل له : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ .

(سورة القصص : من الآ ٨٥ .
' ينظر البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٢٣٦ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي :
١١١ .
' سورة القصص : من الآ ٨٦ .

الثاني : مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها :

قال الزركشي : (إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى)^(١) ، كما افتتاح سورة الحديد بالتسبيح بقوله تعالى : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) ، فإنه مناسب لختم سورة الواقعة من الأمر به بقولنا^(٣) : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٤) .

الثالث : مناسبة افتتاح السورة لمقاصدها :

فسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^(٥) ، وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد بقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٦) .

(١) البرهان في علوم القرآن ٦٤ .

(٢) سورة الحديد : الآية ١ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٦٤ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ١١٢ - ١١١ .

(٤) سورة الواقعة : الآية ٩٦ .

(٥) سورة الإسراء : من الآية ١ .

(٦) سورة الكهف : الآية ١ .

قال الزملكاني : (إن سورة سبحان لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ وتكذيبه تكذيب لله ﷻ ، أتى بـ (سبحان) لتتزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب . وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي ، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ، ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة)^(١) .

المطلب الرابع

موقف العلماء من علم المناسبة

أولاً : موقف العلماء المؤيدين للتناسب بين الآيات والسور : قال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ، ولم تكن سمعناه من غيره هو الإمام أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب - ذه ، وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ، فكان يزري على علماء بغداد ، ويلقي باللائمة عليهم لإهمالهم علم المناسبة^(٢) .
ومن العلماء الذين أكثروا في هذا العلم الإمام فخر الدين الرازي حيث يقول : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط^(٣) .

(ينظر : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٦ ، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي :

١١٤ .

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٣ ٦٤ .

(المصدر نفسه ٦٢ .

وذهب بعض الأئمة إلى القول : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً (١) .

وأما الإمام البقاعي فيقول : (علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال ، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير ، نسبة علم البيان من النحو) (٢) .

ويقول أبو بكر بن العربي : (ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منظمة المعاني ، علم عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة ، ثم فتح الله عَلَيْهِ لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلنة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه) (٣) .

أما الشيخ سعيد حوى فيقول في مقامة تفسيره : (إن علماءنا دندنوا حول ضرورة البحث عن الصلة والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ، وعن الصلة والمناسبة بين سور القرآن عامة ، ثم يقول : ولكن وإن عرج بعض المفسرين على هذا الموضوع ، فإن أحداً لم يستوعب القرآن كله

(١) البرهان في علوم القرآن : للزرکشي .

(٢) نظم الدرر ٥ - ١٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : للزرکشي ٦٢ .

بذكر الربط والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ، وبين سور القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظرية شاملة (١) .

قال بعض مشايخنا المحققين : (قد وهم من قال : لا يطلب لآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المنفرقة) (٢) .

ثانياً : موقف العلماء المعارضون للتناسب بين الآيات والسور :

جاء عن بعض العلماء إنكارهم لعلم التناسب بين الآيات والسور ، وزعموا إنه تكلف محض ، ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني .

يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام : (المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه ، إلا بربط ركيك يسان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ لا يحسن أن ترتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ، مع اختلاف العلل والأ - باب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين) (٣) .

(١) الأساس في التفسير ١ - ٢٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٣ .

(٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٢٢١ ، والبرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦٣ .

فالعز بن عبد السلام لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام ، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد ، وما عدا ذلك فهو يراه أمراً متكلفاً .
وأما الإمام الشوكاني : فقد أنحى باللوم بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم ، وأطال في الاستدلال لرأيه ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، حيث قال : (أعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ، ذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتزهد عنه كلام البلغاء ، فضلاً عن كلام الرب سبحانه)^(٢) .

ويرد على ما ذهب إليه لشوكاني قول الإمام الشاطبي : (ن أعمال الرأي في القرآن جاء ذمه ، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله ، فما كان موافقاً لكلام العرب والكتاب والسنة ، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما ، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية ، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية ، فهذا هو الرأي المذموم ، المنهي عنه)^(٣) .

(١) سورة البقرة : من الآ ٤٠ .

(٢) فتح القدير ٥ ٨٧ .

(٣) الموافقات ٤٢١ .

وكذلك فإن ذكر المناسبة بين الآيات والسور ليس تكلماً بمحض الرأي بل هو يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز ، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم ، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره ، كما إنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي لا اجتهاد فيه ، وما أكثر المناسبات الذكية التي يقبلها العقل ويغرب لها الذوق ، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه لما بقي لنا علم (١) .

ومن الذين ذهبوا إلى ما ذهب إليه الإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني الدكتور صبحي الصالح إذ يقول : (فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول ، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء . وما أصدق قول القائل : المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقتة بالقبول (٢) .

ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه المائلون بالتناسب بين الآيات والسور لأنه من محاسن الكلام ، وهو أن يرتبط بعضه ببعض ، وبه تعرف سر من أسرار بلاغته وإعجازه .

وكذلك فإن في فهم المناسبة إعانة على الفهم الصحيح للقرآن الكريم ، ومن خلال هذا الفهم يتحقق المقصد الأساس منه ألا وهو التدبر والعمل .

(ينظر : التفسير والمفسرون : للذهبي ١٨٨ - ٢٨٩ .

(مباحث في علوم القرآن ١٥٢ .

المطلب الخامس

أشهر المصنفات في علم المناسبة

بدأ التصنيف في علم المناسبة في أواخر القرن الثامن الهجري ، حيث ألف أبو جعفر بن الزبير الثقفي الغرناطي المتوفى ١٠٨ هـ (البرهان في ترتيب سور القرآن)^(١) .

وبهذا الروح ألف الإمام برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ١٨٥ هـ (كتابه القيم (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) حيث جمع فيه أوجه المناسبات ، واستيعابه آيات القرآن وسور)^(٢) .

وصنف في هذا العلم الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ١١١ هـ (كتاباً أسماه : تناسق الدرر في تناسب السور)^(٣) ، وكتاباً آخرأ أسماه (أسرار التنزيل) قال عنه : إنه جامع لمناسبة السور والآيات^(٤) ، وآخرأ أسماه : (مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) يتناول فيه التناسب بين فواتح السور القرآنية وخواتمها^(٥) .

(البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٦١ .

(١) مباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي الصالح ١٥٢ .

(٢) ينظر : والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ٣٢٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ٣٣٠ .

ومن أشهر العلماء المحدثين الذين صنفوا في هذا العلم : عبد الله الصديق الغماري أسماه : (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) .

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، وعلى آله
وصحبه الكرام النجبا ، وبعد :

فيمكن مما تقدم تخلص أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا
البحث فنقول :

١. إن المتأمل لتراكيب آيات القرآن ، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي
يتصرف فيها ، وأسلوبه في التوفيق بين القضايا والأغراض المتنوعة ،
من حسن ربط ، وبراعة مسلك ، كأنه سبيكة واحدة ، أو عقد نظيم ،
يترجح لديه الرأي القائل بأن ترتيبه توقيفي .

٢. إن في تناسق وتآلف آيات القرآن الكريم وسوره دليل بالغ على إعجاز
القرآن ، ويدل أبلغ دلالة على أن مصدر القرآن ، إنه كلام الله ، وما علم
المناسبة إلا سر من أسرار التعبير القرآني في التقديم والتأخير ، والإيجاز
والإطناب ، ويبرز الحكمة من ضرب الأمثال ، وقص القرآن ، حسب
مقتضيات الأحوال .

٣. إن المناسبة قد كون بين أجزاء الآية الواحدة في القرآن الكريم ، أو بين
آياته أو بين سوره .

٤. إن موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره ، والوحدة الموضوعية
للسورة القرآنية ، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تنفرغ لها جهود

العلماء ، والمهتمين بالدراسات القرآنية ، فهو يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى ، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

❖ بعد القرآن الكريم...

١. الإِتقان في علوم القرآن : للإمام جلال الدين السيوطي (د ١١ هـ) ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر ، الطبعة الثالثة ٣٧٠ هـ ٩٥١ م .
٢. الأساس في التفسير : لسعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .
٣. الإيضاح والتبيين في علوم القرآن الكريم : للدكتور سمير عبد العزيز ، مطبعة الفخر الجديد ، القاهرة .
٤. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، الطبعة الأولى ، المطبعة العامرة ، الاستانة . ٣١٣ هـ .
٥. البرهان في علوم القرآن : للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (د ٩٤ هـ) ، دار الكآب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ٤٠٨ هـ ٩٨٨ م .
٦. تفسير القرآن العظيم : للإمام محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي (د ٧٤ هـ) ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر .
٧. تناسق الدرر في تناسب السور : للإمام جلال الدين السيوطي (د ١١ هـ) ، دراسة وتحقيق : د . عبد لقادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨. التفسير والمفسرون : للدكتور محمد حسين الذهبي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة .
٩. التفسير الكبير : للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (د ٠٦ هـ) الشهير بالتفسير الكبير ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة .
١٠. التعبير القرآني : للدكتور فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ٩٨٩ م .
١١. جواهر البيان في تناسب سور القرآن : لعبد الله الصديق الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ٩٨٦ م .
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : لشهاب الدين محمود الألوي ، دار الفكر ، بيروت .
١٣. الصناعتين الكتابة والشعر : لأبي هلال الحسن بن عبد الإله بن سهل العسكري ، الطبعة الأولى ، الاستانا ٣١٩ هـ .
١٤. علوم القرآن : لإبراهيم النعمة ، الموصل ، دار الكتب العلمية ١٩٩٧ .
١٥. علوم القرآن الكريم : لأستاذ عبد الرحيم فرغل البليني ، تحقق الدكتور رشيد نعمان التكريتي ، بغداد ٤٢٣ د - ٢٠٠٢ م .
١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام ابن حجر العسقلاني (د ٥٢ هـ) المطبعة السلفية ، القاهرة .
١٧. فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير : للإمام محمد بن علي الشوكاني (د ٢٠٠ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

١٨. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : للإمام محمد بن أبي بكر ابن القيم (د ٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٩. الفصل والوصل : للدكتور بسيوني عرفة رضوان ، مكتبة الرسالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
٢٠. قواعد التفسير : لخالد عثمان السبت ، دار بن عفان للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٤٧١ هـ ٩٩٧ م .
٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام محمود بن عمر الزمخشري (د ٢٨ هـ) ، الطبعة الأولى ، ٤٢٣ هـ ١٠٠٢ م ، دار المعرفة ، بيروت .
٢٢. الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى . ٤١٤ هـ .
٢٣. معجم مقاييس اللغة : للا - ام احمد بن فارس (د ٩٥ هـ) دار الجبل ، بيروت .
٢٤. مناهل العرفان في علوم القرآن : للإمام محمد بن عبد العظيم الزراني ، المكتبة التوفيقية مصر .
٢٥. مباحث في علوم القرآن : لمناع خليل القطان ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة .
٢٦. مباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي الصالح ، دار الملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة . ٩٧٧ م .

٢٧. محاضرات في علوم القرآن : للدكتور غانم قدوري ، ساعدت ، امعة بغداد على طبعه . ٤٠٠ هـ - ٩٧٩ م .
٢٨. موجز علوم القرآن : للدكتور داود العطار ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية . ٣٩٩ هـ - ٩٧٩ م .